

عروس البحر

لِلكَاتِبِ الدَائِمِ كَيْ " اندرسين "
 بِقِطْمِ الأَدِيبِ كَمَالِ الجَرِيْرِي

ولقد كان زين صدر كل
صدفة أو محارة لؤلؤة كريمة
أو مرجانة يتيمة ، تكفي واحدة
منها لو ازدان بها تاج مملوكة
أرضية ، لأن تدر على خزانها
الذهب ...

لقد تحمل ملك هذا القصر
المجيب منذ زمن طويل ، وكانت
أمه المعجوز تدير شؤون المنزل .

وهي امرأة حكمة ورأى ، ليس عليها من مأخذ
إلا نعصها لمراقبة أصلها ونبل محتها الذي خولها
من دون أفراد الأسرة جميعها أن ترين ذنبها السمكي
بائني عشر عقداً فريداً ، بينما بقيمة أفراد العائلة المالكة
لا يزدان ذنبهم بغير عشرة عقود فقط . وفيما عدا هذا
المأخذ وهذه النيزة كانت الأم المعجوز من أعطف
الأسرة على الأميرات الست بنات ابنا عمرائس الماء
الجميلات . لقد كن ستاً ، مامنهن الإحسان فتانة ،
ولكن الصغيرة منهن ، كانت أجملهن قداً وأشدهن
سحراً وفتنة ، ذات بشرة ناعمة ناضرة كأنها ورقة
وردة ، وعينين زرقاوين صافيتين تحكيان ماء بحيرة
زرقاء عميقة ، إلا أنها كبقية أخواتها كانت لا تمشي
على رجلين إنسانيتين ، إنما ينتهي جسمها بذنب سمكي
لقد كان هؤلاء المرائس الجميلات يمرجن ويلهون
أكثر النهار في باحة القصر ، حيث الجدر كانت
تنبت أزاهير يانعة رائحة هي أبدأ في تموج وترجرج
وكانت نوافذ القصر المنبرية الندية مفتوحة غالباً ،
فكان السمك لا يفتأ يروح ويفندو من البحر إلى
غرف القصر وأبهاه كما تلج وتخرج عندنا أسراب
السنونو من الغرف حين نفتحها لهواء الربيع ، وكانت
(٦)

... هناك ... هناك في عرض البحر المحيط
كان الماء يحكي في زرقته المشربة بالخضرة لون ورق
الأعرج ، ويشبه في صفائه وشفافته ذوب البور .
ولكنه كان بعيد النور بحيث لا تبلغ قرارته مرسة
مهما طالت ... وهناك كان يسكن شمع الماء ...
ويجب ألا يذهب بنا الظن ، مع ذلك ، إلى أن
ليس هناك في تلك المملكة المائية غير الرمال المارية
البيضاء الكلا . إنه لينبت فيها أشجار سحرية عجبية ،
ونباتات جد لينة ملساء لطيفة الجس ، حتى أنها
لترتمش ككائنات حية لأدنى حسنة من حسات
الماء ، أو لمسة من لسات الموج ... ومن خلل هذه
الأفنان ، وجفوات هذه الأغصان المائية ، كانت أنواع
السمك صغيرها وكبيرها ، تحوم وتدور حول هذه
الأشجار ، كما تحلق وترفرف عندنا عصافير الشجر
وطيور الدوح سواء بسواء ...

في غور المحيط كان يقوم قصر ملك الدماء :
جدرانه من نفيس الدر والرجان ، وشبايكه من
عبق المنبر وشذى الند ، وسقفه من ثمين الصدف
وغالي الدر ... وكان السقف بفلق ويفتح حسب
حركة الماء واتجاه الموج ...

منار السمك تسبح بين أيدي الأميرات وتترك
العرائس الست يدايعهن دون خوف . ولقد أحيط
قصر ملك البحر ببستان أبيض وسيع يانع الشجر
رائع الزهر ذي أزهار ملونة مبرقشة فيها الأحمر
الأرجواني واللازوردى الداكن والأخضر الفاتح
ومن خلال الشجر كان يلتمع الثمر كقناديل الذهب
ويتوهج الورق مثل مشاعل مضيئة ذات ألوان
وشيات مختلفات . أما الأرض فقد كانت مغطاة
برمل أزرق أملس ناعم
كل شيء هناك في الأعماق كان غارقاً في أضواء
زرقاء ساحرة عجيبة ، حتى ليظن أن المكان في الهواء
الطلق ، من تحته سماء ومن فوقه سماء زرقاء أيضاً
وفي أوقات الصحو الجميلة ، كان يطل قرص
الشمس على مملكة البحر فيظهر كزهرة كبيرة
أرجوانية ، يتألق ويسطع حول كأسها أمواج من
أضواء وأنوار
لقد كان لكل واحدة من عرائس البحر الست
أميرات القصر مكان في بستان القصر الوسيط ،
اختارته لنفسها تزرع فيه وفق ذوقها ورغبتها ،
فاختارت واحدة منهن لقطعة أزاهيرها شكل حوت
« البالين » ، وأحببت أخرى أن يكون شكل قطعة
أزاهيرها يشبه عروساً من عرائس الماء . أما الأميرة
عروس البحر الصغيرة فقد نسقت قطعة حديقتها
وأزهارها مدورة على شكل قرص الشمس ولم ترصمها
إلا بأزهار حمراء مشتملة مثل الشمس

لقد كانت عروس الماء الصغيرة بنتاً غريبة
الطبع ميالة إلى الهدوء والتفكير ، بينما بقية أخواتها
كن يلهون ويلعبن بالعباب وأشياء متباينة يهذيها
البحر إليهن من غرق الساكنين . لم تكن هذه
— إنك حين تبلغين الخامسة عشرة يا بنيتي ،
سيكون لك الحق أن تمتلي سطح الماء وتصمدي
إلى وجه البحر وتجلسي على صخوره اللس الناعمة
وتبصرى السفائن الكبيرة والدوارع العظيمة التي
تخطر على سطحه في ضوء القمر . ثم وستنعمين
حينذاك بمشاهدة المدن والأمصار والغابات والبساتين
التي تتوقين لرؤيتها . كانت الأميرة البكر متكلمة
سنيها الخمس عشرة بعد عام ، وكل من الأميرات
الست تكبر أختها بسنة واحدة . وإذن فستمضي

لقد كانت عروس الماء الصغيرة بنتاً غريبة
الطبع ميالة إلى الهدوء والتفكير ، بينما بقية أخواتها
كن يلهون ويلعبن بالعباب وأشياء متباينة يهذيها
البحر إليهن من غرق الساكنين . لم تكن هذه

وأقن مشهد لعينها التمدد في ضوء القمر على بساط الرمل الأبيض الناعم بجانب بحر هادي صاف ، ومشاهدة الساحل الواسع ، وقد احتضن المدينة الكبرى التي كانت أضواؤها ومصاييحها تلمع في حلك الليل كثات من النجوم الزواهر ، ثم الإسفاه إلى عزف الموسيقى الشجي ، ودوى العربات ولفظ الجماهير ، وأخيراً تأمل الأبراج الشفاء والقباب الباذخة يتردد في جنباتها قرع نواقيس الكنائس الشيدة ...

كانت عروس الماء الصغيرة ، تصني لسرد مشاهدات أختها في شفق ، ومنذ ذلك لم تقطع عن الجلوس إلى نافذتها المفتوحة على عجائب البحر ومناظره ، ولم تفتر عن التفكير في هذه المدينة العجيبة ذات الضوضاء المرتفعة والمصاييح المتوجهة التي لا تمد .

بعد مرور سنة جاء دور الأخت الثانية للصمود إلى سطح البحر والسياسة فيه حيث يطيب لها الانتقال ولقد صعدت إلى سطح الدأماء في الوقت الذي كانت الشمس تميل للغروب ...

وحينئذ رأت من مشاهد الروعة والفتنة والنور ما لم تره سابقاً في حقيقة أو تنصوره في وهم وخيال . كانت تقص على أخواتها :

لقد كانت السماء بأجمعها قطعة من ذهب ، وقطع السحاب مموهة بألوان من الحمرة والبنفسج زاهية رائعة ليس في الإمكان وصفها ولا تصويرها . ولقد كان يخلق فوق رأسى ويرفرف ، ولكن في سرعة تفوق سرعة السحب الطارزة النارقة في ألوان الطيف ، صرب من الإوز المائي كان يطير فوق الماء في نفس

على عروس الماء الصغيرة أصغر أخواتها خمس سنين حتى تستطيع بعدها الصمود إلى وجه البحر واكتشاف عجائب اليابسة . ولكنها أذن للأميرة البكر أن تصف لأخواتها ما جذب عينها وسحر فؤادها من مشاهد ومراء غريبة تشاهدها في اليابسة لأول مرة من صمودها . وذلك أن الجدة لم تقل كل شيء لحفيداتها اللاتي كن ينتظرن بنافذ الصبر أن يعرفن كل شيء عن اليابسة ولم يكن أكثر ولو عابالمعرفة وتشوقاً للاطلاع من عروس الماء الصغيرة ، ومع ذلك كانت نوبة سياحتها إلى الأعلى آخر أخواتها ...

وغالباً ، حين يسدل ستار الظلام ، كانت الصغيرة تظل مرتفعة قاعدة نافذتها المفتوحة ، تتولى بمشاهدة لازورد الماء الداكن حيث الأسماك المختلفة الحجم ما تنى عن الطواف والحومان ، محرمة أذنانها أو راقصة بزائفها ... كانت العروس الصغيرة تبصر القمر ، والنجوم من خلل أطباق الماء مصفارة كابية الوجه مطبوسة الأثر ، ولكنها كانت تلوح أكبر حجماً مما تبدو لأعيننا . وفي بعض الأحيان ، كان يُخيل للفتاة ، أن سحابة من السحب تحجبها عن عينها ، فتعلم حينئذ أن صوت « البالين » يمر فوق رأسها ، أو أن هناك على سطح البحر سفينة مشحونة بالأموال والرجال تمخر في الدأماء أو تنصور أن هناك في الأسفل منها ، عروساً للماء صغيرة كانت تمد يديها البيضاءوين إليها في لطفة واشتياق .

وأخيراً أقبل اليوم الذي بلغت فيه الأميرة عروس البحر الكبرى أعوامها الخمسة عشر ، والذي تستطيع بعده أن تصمد لسطح البحر . وفي عودتها كانت حافظتها تحتزن لأخواتها ألف شيء ومشهد يستحق الذكر . ولكن كان أحب شيء إليها

أمواج هائلة كالجبال في لون اللؤلؤ اللامع وبريق
الماس الوضاء ، على أشكال مختلفة جبارة الحجم ،
في حين أن قطائع السفن والمراكب كانت تفر
منها وتتجنبها هولاً وفزعاً

ظلت عروس الماء متربمة على إحداها تداعب
خصائل شعورها الطويلة المندودة نسائم البحر .
وفي السماء تغطي أديم السماء بقطع السحب السود ،
وأخذ البرق يلتمع والرعد يقصف من آفاق السماء ،
وارتدت الأجواء والسماء والدأماء طيلساناً أسود
مهيباً من الظلمة ، فريعت السفائن والمراكب وطوت
شرعها ولجأت إلى الساحل ، إلا عروس الماء
فقد لبثت هادئة على ظهر البحر تنظر في اطمئنان
وثبات جأش إلى زججة الأواذي وقصف الرعد وثورة
الطبيعة

وفي الغالب كان عرائس البحر يأخذ بعضهم
في المساء أيدي بعض ويخرجن معاً إلى وجه البحر .
لقد كان لمن صوت شجى حنون أشجى وأطرب
من الأصوات التي تطلقها حناجرنا على الأرض
وحيثما ترأر عواصف البحر وتصطخب أمواجه
الموج فتضطر السفائن إلى الإخلاق إلى موانئها ،
كان المرائس الخمس يحمن حول السفائن ويسبحن
تجاهها متغنيات بأصواتهن الحلوة الموسيقية على جمال
وفتنسة هوى البحر وحفره وأغواره ودواراته ،
داعيات الملاحين إلى النزول إليها دون خوف .
ولكن الملاحين لم يكونوا يفقهون لهذه الأرائيم
مغنى لأنهم كانوا يظنونها عويل الرياح أو زججة
الماصفة

حين كان المرائس الخمس يصعدن هكذا إلى
وجه البحر كل واحدة يدها بيد أخها كانت أخيهن

السكان الذي كانت تفوص فيه عروس النهار في
جوف البحر . لقد أردت أن أسبح صوب قرص
الشمس العريق ، ولكن الشمس توارت وتواري
بمدها كل ما في السحب من ألوان زاهية متموجة
وما على سطح البحر من أطراف ملتبمة متوجهة

بعد سنة جاء دور الأميرة الثالثة للصمود إلى
سطح البحر . وبما أنها كانت شجاعة القلب جسورة
فقد امتطت غارب تيار نهر كبير يصب في البحر .
وهناك أبصرت آكاماً ممرعة بماطر اللبث ، وتلاعاً
مستورة بناضج الأعناب . فوقفت تصنى لفناء الطير
وترجيع المصافير ، ولكن أشعة الشمس كانت من
التضرم وشدة الحرارة بحيث كان عليها كل فترة أن
تفوص في الماء كي تبرد من لافح حرها وجهها
الحران . ولقد شاهدت في حمام بحري على الساحل
طائفة من صفار الأطفال ينغمرون في الماء ، فأحبت
أن تلهو معهم وتشارك وإياهم في اللعب والسباحة ،
لولا أنهم فزعوا منها ولاذوا بالفرار . وحينئذ أقبل
حيوان أسود اللون - وكان كلباً لم تعرفه وتبصر
مثله عروس الماء في حياتها - أخذ يصيح وراءها
سياحاً شديداً مزججاً حتى أخافها وألحأها إلى الاحتماء
في أعراف الموج .

لم يكن عند عروس الماء الرابعة شجاعة كافية
لهذا ظلت في وسط البحار المنزلة عن الناس فقصت
على أخواتها أن المناظر هناك كانت أيضاً أروع وأبدع
وأزف اليوم الذي تستطيع فيه الأميرة الخامسة
من عرائس البحر أن تصمد إلى وجهه ، وبما أنها
ولدت في قر الشتاء لهذا كانت شهيدة لمناظر أخرى .
كان سطح البحر الواسع غارقاً في خضرة لازوردية
زاهية ، وفي كل جهة ؛ كانت تطفو وتتراقص

سبحت عروس الماء الصغيرة حتى حدود نوافذ «صالون»^(١) السفينة وفي كل مرة ترفعها فيها موجة كانت تبصر إلى الصالون من خلال زجاج النافذة الشفاف فتشاهد جماعة من الرجال في هيئة الزينة وتحضير «التواليت»^(٢)»

وكان أول من استرعى اهتمامها فتى رائع الحسن مليح الوجه أسود العينين في السابعة عشرة من سنه . ولقد كان هذا اليوم ذكرى يوم ميلاده ، لهذا فإن رهط المجتتمعين كان محتفلاً والحفلة مقامة لعيد ميلاده . وكان حين يظهر شخص الفتى بين الجمع ، تطلق تحفياً به مئات من السهام النارية في الفضاء فتضيئه وتجمله كأنه في وضوح النهار . لقد دعت عروس الماء أولاً لهذا النور الوهاج فغطت رأسها في الماء ؛ ولكنها ظهرت ثانية ، فخيل لها حينئذ بأن جميع شهب السماء ونجوم الفلك تتساقط وتهاوى على البحر . أبدأ لم تبصر عينها شيئاً لهذه الأضواء الساطعة الباهرة ، ولا مثيلاً لها تيك الشمس المتوهجة الدائرة ، ولا نظيراً لتلك الأسماك النارية الخطّارة التي جعلت عنان السماء الزرقاء مسجحاً لها وبحراً ، كل هذه المشاهد الأثقة الوهاجة كانت تنعكس على صفحة البحر وتتكرر على أديمه آفاقاً من الأشعة والأضواء . آه لشد ما كان منظر الأمير الفتى رائعاً جذاباً ، إنه ليسم على كل شخص ويحبيه نبأ ألحان الموسيقى الشجية تملأ أذن الليل .

وتقدم الليل وعروس الماء الصغيرة لم تستطع

(١) ، (٢) . يعنوننا القاري في استعمال هاتين

الساكنتين وإن كبر الأمر على مجتمنا اللغوي اللسكي

عروس الماء الصغيرة تظل وحدها تنبهن نظراً حزينا متوسلاً مشوقاً وتكاد تنفجر من ماقيها دموع الحزن لولا أن نعمة تدراف الدموع كانت من النعم المحرومة إياها منها عرائس البحر وذلك ما كان يزيد نار حزنهن اضطراباً . لقد كانت تناجي نفسها في أسى ولوعة :

— أوه ا متى أبلغ الخامسة عشرة من عمري ا
إني لأحسّ أني سأعشق العالم الأرضي وسأهيم بمن
يسكنه من الرجال ...
وأخيراً ... بلغت أعوامها الخمسة عشر . فقالت
لها جدتها :

— حسن ، ها أنت ذى حرة طليقة فتعالى
أجلك وأزينك كما فعلت بأخواتك ... وفعلأ
وضمت على رأسها إكليلاً من زنبق اللؤلؤ كل ورقة
منه كانت نصف لؤلؤة مكنونة ، ثم ناطت بذنبا
المياس ثمانى أصداف لؤلؤية ومرجانية رصراً لمراقبة
أصلها . وقالت عروس الماء الصغيرة لجدتها :

— إلى اللتى . ثم عمرجت إلى سطح البحر
في خفة فقاعة الصابون . كانت الشمس على وشك
الغروب حين أبرزت العروس الصغيرة رأسها من
غمر الماء . ولكن السحب كانت مغمورة بلون الورد
والذهب . وفي وسط سماء باهتة كانت نجمة المساء
تلمع في أبهة وروعة . وقريباً منها شاهدت عروس
الماء سفينة كبيرة تتأرجح على أعراف الموج
وقد استراح الملاحون عليها يصفون لعزف الموسيقى
ولحن النشيد اللذين أخذوا يترددان من أطرافها .
ولما كان الليل قد بسط جناحه فقد أضيئت في
السفينة مئات من المشاعل مختلفة الألوان والحجوم
حتى لكنت تحسبها جميع أعلام دول الأرض
ترفرف في الهواء

الاصطدام بقطع السفينة المحطمة وأخشابها المتكسرة المائعة . ثم هبط الليل فأصبحت الظلمة من الكثافة بحيث لم تعد تبصر شيئاً . اللهم إلا ما يلتصق من حين لآخر من سنا البرق فيظهر الفتاة على ما يحدث هناك في الشاطئ . وقبل كل شيء بدا لها أن تفتش عن الأمير الفتى الجميل . فأبصرته في نفس الوقت الذي انشقت فيه السفينة إلى شطرين وهوت في أعماق البحر . لقد كانت جد مرثاة مسرورة حين خطر لها أن الأمير الجميل سوف ينزل إليها في موطنها البحري ، ولكنها سرعان ما ذكرت أن جنس البشر الأرضي لا يقدر على العيش داخل الماء . وإذن فلا بد أن يصل إلى قصر أبيها في أعماق البحر ميتاً أو مهتماً ، ولكن لا ، إنها لا تريد أن يموت أو يمسه سوء . وهكذا تناست فجأة كل خطر كان يحيط بها بسبب الاصطدام بقطع السفينة المائعة ، فقدفت بنفسها إلى البحر ساجحة بين بقايا السفينة وأخشابها . . . وأخيراً لحقت بالأمير المليح ، فإذا هو هامد فاقد لشموره لا مقاومة فيه ولا حراك . كانت يده ورجلاه كقطع من جليد ، وعينه مغمضتين غمضة الموت ، ولقد كان على وشك الهلاك لو لم تداركه عروس الماء الصغيرة التي أسندت رأسه إلى صدرها الناهد ، تاركة جسمها يموه على هوى الأمواج .

وفي الصباح هدأت ثورة الماصفة ، ولكن لم يبق من السفينة النريفة أي أثر أو دليل . ثم ظهرت الشمس وراء البحر حمراء وهاجة ، وكأنها بجمراتها قد أعادت الحياة والدماء إلى خدى الأمير الجميل . ولكن عينيه ظللتا مغمضتين . قبلت عروس البحر الصغيرة جبينه الوضاء ، وربت شمره الأثيث

أن تنزع نظراتها من السفينة الجذابة ولا من الأمير الجميل . على أن الصايح الألاءة قد انطفأت أنوارها والسهام النارية الواجحة انقطع طمعها أديم السماء . ولكن ما زال يتردد الآن في أعماق البحر وعلى حواشيه زججرة الأمواج وصخب اللجج . لقد امتطت عروس الماء الصغيرة صدور الأمواج وراحت تتأرجح عليها ، بصورة كانت تستطيع معها من حين لآخر أن تلقى نظرة من نوافذ السفينة وكواها على من فيها من الركاب . ولكن فجأة أخذت قطع جسيمة من السحب تتراكم في ميدان السماء ، بينما سنا البرق بدأ يلتصق ويومض في حاشية الأفق البعيد . ثم تضخمت الأمواج وعلت كالجبال منذرة بهبوب الماصفة الماتية . وزاح الملاحون بطوون الشرع المنصوبة وقتذاك ويخففونها ولكن السفينة كانت تدور كالدوامة بسرعة هائلة وسط هذا البحر اللجج المزبد واللجج تملو وتعلو كأنها جبال هائلة سود تريد أن تسحق السفينة إلا أن السفينة اللدنة الميساء ، كانت تغوص في بطون الأثباح ، كي تعود وترتق بعد لحظة قم الأمواج العالية . ولقد وجدت عروس الماء الصغيرة في ارتكاض السفينة وتأرجحها في أحضان الموج منظرًا مسلياً جذاباً ، ولم يكن ذلك رأى الملاحين المذعورين . فلقد كانت السفينة تمول وتئن لأن أخشابها الرقيقة كانت هدفاً لصددمات الأمواج الطاقية العنيفة التي كانت تحرق بها من كل مكان . وأخيراً تكسرت ساريتها الكبيرة مثل جذع شجرة خاوية هزومة ، ثم مالت السفينة من جهة بينما أخذ الماء يستولي عليها وتندفق لججه إليها من كل مكان . حينئذ فقط شعرت عروس البحر بالخطر وأدركت هولته . فلقد كان عليها هي نفسها أن تتجنب

أنها هي التي أنقذت حياته من الفرق . عند هذا شعرت عروس البحر بالأسى برمض حشاها ، وثار الفيرة تكوى أضالعها ... وحين حملته إلى الكنيسة الكبرى ، انممرت عروس الماء في أعماق البحر جداً مبتئسة حزينة ، وأخذت طريقها إلى قصر أبيها لقد كان من عادتها السهوم والتفكير والجد في تصرفاتها . أما الآن فقد تضاعفت هذه الخصال فيها ، وأخذ أخواتها يسألنها عما شاهدته فوق البحر ، ولكنها لم تقص عليهن شيئاً

كانت تصعد في الصباح إلى المكان الذي ركت عنده أميرها الجليل الغائب . فكانت تشاهد نزوح فاكهة البستان وقطافها ، ثم تبصر ذوبان الثلوج وانحدارها إلى بطون الأودية . ولكن الأمير الجليل حينها الفاتن لم تره أبداً ويا للأسف . فلا تعود في كل مرة إلا وقد تضاعف أساها وتزايد شجهاها . فتكون سلوتها عند أحزانها أن تظل في بستان قصرها المعجيب الرائع ، جالسة بجانب التمثال الرمرى ، تحيطه بذراعها وتلم بشفتيها جسمه الذي يشبه الأمير الحبيب كل الشبه

وفي النهاية لم تستطع أن تحتفظ بسرها ، فأنهته إلى واحدة من أخواتها ، وهذه بطبيعة الحال أطلعت عليه أخواتها الأربع . إلا أنها أخذت عليهن موثقاً أن يكتمنه عن جميع عرائس البحر . فكتم السر فعلاً ، إلا عن عروسين من خلص الصديقات ، كانت واحدة منهن تعرف الأمير ورأته سابقاً على السفينة ، ثم إنها كانت تعلم في أي مملكة من الأرض يقيم

قال الأميرات الأخوات لأختمن عروس البحر الصغيرة :

الكستنائى . وحينئذ بدا لها أنه يشبه كل الشبه التمثال الرمرى الذي أقامته هناك في حديقة أبيها وأولت به الولوع كله ، فقبلت الأمير ثانية ، وودت من كل قلبها لو أفاق من غشيته .

وألقت نظرة على ما حولها ، فإذا بها تشاهد البر فسيحاً رائماً ، وجبالاً شماء زرقاء مستورة القمم بتيجان الثلج اللتمع الأبيض ؛ وعلى طول الساحل تمتد غابة كثيفة لفاء يبدو بجانبها بناية ضخمة . لم تدر أهي كنيسة أودير . ولقد كان يحاط هذه الكنيسة حديقة غناء شجراء من شجر الليمون والبرتقال ، وأمام بابها تنتصب شجرة من النخيل . ولقد كان البحر ينتهي هناك بخليج هادى عميق ، تحاطه حصى لناعمة جميلة ورمال ناعمة صفراء بهيجة . فسبحت عروس الماء إلى ذلك الخليج حاملة على صدرها الأمير الجليل المشفى عليه . ثم أنامته على الرمل الأملس واضعة رأسه أعلى من جسمه ، ومدبرة وجهه صوب الشمس . وأخذت نواقيس الكنيسة الكبرى البيضاء تتجاوب أرائنها في الفضاء ، فبرز في حديقة الكنيسة سرب من غيد حسان ، وحين مشاهدتهن توارت عروسنا الصغيرة خلف صخرة بارزة هناك ، وقد سترت صدرها ورأسها بزبد البحر كيلا يبصرها أحد . ومن غبها راحت تزقب الكواعب الحسان ، ونجاة اقتربت منهن فتاة من الأمير النائم ، فبدا على وجهها الذعر أولاً ، ولكن خوفها لم يلبث طويلاً ، فقد نادى رفيقاتها إليها ، وعندئذ رأت عروس الماء أن الأمير قد أفاق من غشيته وراح يتنسم في سرور إلى من التف حوله من الفتيات . ولكن لم يجد على العروس الصغيرة بابتسامة واحدة . . . إنه ليجهل

— لا ريب أنه هو الأمير الذي يمر الآن فوقى بأوراق صيده وعدة قنصه ... هو الذي أعزاه وأحبه أكثر من أبي وأمي ، هو الذي تتوجه صوبه جميع أفكارى وهواجسى وبه وحده أعلق حنى وقلبي . إنى لأخاطر بكل شيء عزيز فى سبيل إحرازه وفى نفس الوقت إحراز الروح الخالدة . سأذهب إلى عمارة البحر بينما أخواتى يرقصن ويهزجن فى القصر نعم إنها طالما أفرغتني ، ولكنها ربما تقدر على أن تولينى نصيحة أو مساعدة . وحينئذ انطلقت عروس الماء الصغيرة من بستانها الأنيق متوجهة جهة الدوار البحرى الهائل الذى تسكن خلفه العرافة . أبدأ لم تطرق قدمها هذا الطريق المرعب ، فليس هناك زهور ولا خشائش بحرية . إنما هناك الرمل المارى الذى يمتد حتى الدوار البحرى الذى يرغى فيه الماء ويفور ويصخب ويثور كأنما هو منقذ من فوهة طاحون هائل جارفاً إلى الأعماق كل ما يقع تحت متناوله من عرائس وأسماك ، ولم يكن لعروس البحر الصغيرة مندوحة ، كي تصل إلى منزل العرافة من عبور هذا الدوار الهائل ثم المشى طويلاً خلال مسافة واسعة من الزبد الفائر الجارف الذى يحدته هذا الدوار ، وإلى الوراء فى وسط غابة غريبة بحرية كان يوجد منزل العرافة . لقد كانت كل أشجار الغابة وجميع أدواحها مؤلفة من أخطبوطات بحرية وهى كائنات حيوانية نباتية تشبه أفاعى ذات مائة رأس تنبت من الأرض ، وأما أغصان هذه الأشجار فكانت فى هيئة أذرع جبارة طويلة لرجة ذات أصابع طويلة ملساء كالبلور ، ومن جذور ، حتى قم هذه الأشجار الهائلة كان كل مفصل منها ومقطع فى حركة وارتجاج . لقد كانت ترد كل شيء بوقه سوء حظه

— ومع كل هذا سيكون نصيبى الموت والثلاثى يوماً ما حين أغدو قطعة من الزبد تطفو على البحر دون أن تستطيع سماع موسيقى الأمواج ولا رؤية الأزاهير الأرجة الجميلة ، ولا مشاهدة الشمس الساطعة . آه يا جدتي العزيزة ، ألا أستطيع عمل شيء فى سبيل الحصول على روح خالدة ؟ فقالت لها جدتها :

كلا يا صغيرتى ، إلا أن يتدلّه بحبك رجل من هناك ، فتصحبى أعز عليه من أمه وأغلى من أبيه . فإذا اختص بك وتعلق بحسبك قلبه وفكره ، وإذا ذهب هو بنفسه إلى الكنيسة عاقداً يده بيدك كما يحلف أمام الراهب بين الإخلاص والمحبة الأبدية لك ، حينئذ فقط تمزج روحه الباقية بروحك الفانية فتتالين قسطاً من سعادة خلود الروح . ولكن هذا يا بنيتى لن يتأتى لك بحال ، لأن ذنبنا الذى نعتبره نحن هنا فى البحر من أئمن الحلى وأبدع الزينة الطبيعية يجدونه هناك مشوهاً للجمال وقذى فى العين ؛ وكى تروقيهم وتمجيبهم ، ينبغى لك أن تستبدلى بذنبك أوصالاً يدعونها رجلين . فتأوهت الفتاة فى التبايع وهى تنظر أسوانة إلى ذنبها السمكى . فقالت الجدة :

— ومع ذلك لم الحزن والتشكى ؟ إننا جد سعداء ما دام أماننا ثلاثمائة عام من الحياة وهذا يكفى وبمسد أيام أخذت عروس الماء تفكر فى العالم العلوى . لم تكن تستطيع أن تنسى وجه الأمير الجميل ولا أن تطرد من ذهنها أمسى حرمانها الروح الخالدة مثل روحه . لهذا خرجت من ليدن جدتها ذات يوم ، وتوجهت إلى بستانها الصغير . وما كادت تبلغه وتطل من نافذته حتى طرق مسامعها دوى أوراق صيد . وعندئذ فكرت

بين أطرافها الجبارة . وحينئذ تلتف حوله ولا تدعه
أبدأ . لم نستطع عروس البحر الصغيرة أن تتقدم
أكثر مما تقدمت . فإلّا كان قلبها يخفق رعباً وفزعاً
وهمت بالعودة لولا أنها أعادت الفكر في الأمير
الجميل وفي الروح الباقية فتشجعت . ربطت حول
رأسها غداً ثراها الطويلة كيلا تستطيع الأخطبوطات
أن تلتفها وتتشبث بها ، ثم عقدت يديها على
صدرها وقذفت بنفسها إلى ما بين الأخطبوطات
فانزلت على الماء كما تنزل سمكة رشيقه، وعبثاً حاولت
الأخطبوطات وقفها أو جذبها إليها بأرجلها الكريهة
المرنة اللدنة

وبلغت أخيراً بقعة واسعة لزجة زلقة ، حيث
شاهدت أفاعي بحرية جبارة تتحوى وتتلوى على
ظهورها وبطنها الكريهة الصفراء البرقشة . وفي
وسط هذه البقعة ، كان يوجد بيت مشيد بمظام
وهياكل وجثث الفرق في البحر . ولقد كان هذا
هو بيت العرافة الساحرة . لقد كانت هذه العرافة
تطمع من فيها الكريه الواسع ضفدعاً بحرياً بشماً
كما كانت أيضاً تدعو الثمايين والأفاعي الهائلة بلفظ
« أفراخي » ساحة لها بأن تلتف وتتجمع على
صدرها . قالت العرافة حين أبصرت الفتاة :

— إنى أعلم جيداً ما ترغبين منى ، ومع على
بأن ما تريدننه ضرب من الحماقة ، أوافق عليه .
إنك تريدن أن تعتاضي من ذنبك أطرافاً كأطراف
البشر ، كي يتدله بك الأمير ، فتنمكني من الحصول
على روح خالدة . وفي أثناء تكلم العرافة هكذا ،
كانت تنطلق من شدقها ضحكة هائلة مرعبة سقطت
لاهتزازها على الأرض الثمايين والصفادع الواحد
بجانب الآخر . ثم استأنفت الساحرة قولها :

— لقد جثت في وقت ملائم لأنه لو طالمت عليك
شمس الغدلا استطعت أن أساعدك حتى مرور سنة
على الأقل ... لسوف أركب لك شراباً يحملينه إلى
الأرض قبل انبلاج الفجر ، وسوف تجلسين على
الشاطئ وتجرعينه هناك . وحينئذ يسقط عنك
ذنبك السمكي وينقلب إلى ما يسميه الرجال هناك
رجلين جميلتين . ولكن هذا سوف تتحملين في سبيله
ضئلاً من الأوجاع ، حتى لتظنين نفسك من الألم
قد تشترين شطرين شطرين بسيف قاطع . ولكن سوف
يملن كل من يراك أنك أجمل وأفتن مخلوقة وقمت
عليها عينه . ثم إنك سوف تحافظين على مشيتك
التموجة المتأودة التي ستحسدك عليها أرسق الرافعات
هناك ، وكل خطوة تخطينها ستؤلك كما يؤلك المشي
على سكاكين مرهفة . إنك إن ترضى بكل هذه
الاختبارات والآلام ، أساعدك كما نشائين . فأجابت
العروس الصغيرة بصوت مرتجف وهي تفكر في لقيا
الأمير ونشوة الحصول على روح خالدة :

— رضيت

قالت العرافة :

— واذكري أيضاً أنك منذ الحين الذي
تتشكلين فيه بشكل فتاة بشرية لن تستطعين
أبدأ أن تمودي عروساً للماء ، ولا أن تنزلي
إلى أعماق الماء بين أخواتك وأهلك فتبصرى قصر
أبيك . ولئن لم تكسبي محبة الأمير وتشغفيه حباً
لدرجة أن ينسى لأجلك أباه وأمه ويرتبط معك
روحاً وجسداً كما يرتبط الأزواج المحبون اليتيمون
بعضهم ببعض ، إن لم تحصلي على هذا فثقي أنك
لن تحزى أبداً روحاً خالدة . أما إذا تزوج الأمير
واحدة من جنسه ولم يحفل بك فسوف تتحطمين

صدرها نفرة راح يندفق منها دمها غريزاً في القدر؛
فأخذ الدخان المتصاعد من القدر أشكلاً ومهاويل
سحرية . . . ولم تكن تغفل العرافة لحظة عن إلقاء
عقار جديد أو دواء غريب في القدر . وحين بلغ
الركب الجهنمي درجة الغليان ، راحت تنبعث لنشيشه
زجرات كزجرات التماسيح . . . وأخيراً أصبح
الشراب مضيئاً شفافاً كالماء ، قالت العرافة :

هاك هو . . . ثم . . . ثم اجثت لسان عروس
البحر الصغيرة التي أصبحت بعد ذلك لا تستطيع
نطق حرف ولا ترجيع لحن . ثم قالت العرافة :

— إذا حاولت الأخطبوطات أن تتعلق بك
وتقبض عليك حين اجتيازك الغابة الخيفة ، فما عليك
إلا أن تلقى عليها قطرة من هذا الشراب ، فإذا
أرجلها وأيديها تتمزق وتتطاير في عرض البحر . . .
لكن لم تكن عروس البحر محتاجة إلى شيء
من هذا ، لأن الأخطبوطات الهائلة تعهرت
مذعورة حين أبصرت هذا الشراب الساحر الذي
كان يلتمع ويضيء في يد عروس الماء كما يضيء
اليدر في غيب الليل . . . وهكذا عبرت عروس
البحر في رشاقة الغابة فالستنقع الوبي فالدوار
المزبد الهائل . . .

ولاح لها بعد ذلك قصر أبيها وقد انطلقت
أنواره وغرق كل من فيه في بحر من نوم عميق .
ولما لم تستطع وهي خرساء أن تلجه ، اكتفت
وقلها بكاد يتصدع الماء وهي تغادر قصر أبيها إلى
الأبد أن ترسل من يديها قبلاً مشوقة حارة إلى كل
واحدة من أخواتها ، ثم رقت إلى سطح البحر
الأزرق الداكن

لم تكن الشمس أشرقت بعد حين شاهدت

وتنقلبين إلى رغاء طائش من الزبد على البحر
فقال عروس البحر الصغيرة وقد امتقع وجهها
امتقاع وجوه الموتى :

— إني لأرضى بكل ما ذكرت
قالت العرافة :

— وإذن فيلزم أن تدفع لي شيئاً . وما أطلبه
سوف يكلفك غالباً وغريزاً . إنك لتتعمين بصوت
ساحر شجي ما سمعت بمثله عدوبته وريننه أذن
عروس بحر . وبه تستطيعين بسهولة أسر قلب
الأمير . وعلى هذا فستمنحيني إياه لأنني أود أن أحوز
أحسن ما عندك من منح إلهية ، في مقابل الشراب
الذي سأصنعه لك والذي سأخرج في تركيبه شيئاً
من خالص دمي كي يزداد فعله .

قالت عروس البحر الصغيرة :

— ولكن إذا سلبتني صوتي البديع فاذا يبقى
لي بعد ذلك ؟

قالت الساحرة :

— قدك الأهيف ومشيئك الراقصة المتموجة
ثم عينك الساحرتان الناعستان . وذلك كاف لأن
يسبي قلب الأمير . ولكن ماذا ؟ أراك تفقدين
شجاعتك ؟ هيا مدى لسانك كي أستله ثم تحضير
شرايك السحري

قالت عروس البحر الصغيرة :

— ليكن ما تشائين

فوضعت العرافة قدراً على النار لإنضاج هذا الشراب
العجيب ، ثم قالت :

— إن النظافة يجب في مثل هذه الأشربة .
قالت هذا وطفقت تدلك القدر بشعبان هائل عقده
على يديها كحزمة أو مساحة . ثم إنها حفرت في

قصر الأمير وجازت سلاله المرصية بجانب البحر تحت ضوء القمر . هناك تجرعت الدواء المرعب الكزبة فذارت بها الأرض ، وأحست كأن جسمها الرقيق ينشطر بسيف ماض إلى شطرين ، ثم أخذتها غاشية الألم فغابت عن الوجود ... وحين بدت تباشير الصباح تنهت من إغمائها شاعرة بالآلام لا توصف ، فإذا الأمير منتصب أمامها يرمقها بعينه الحوراوين الساحرتين . وأغضت الفتاة حياء فإذا بها ترى نفسها بغير ذنب وإذا مكان الذنب ساقان بيضاوان غضتان ناعمتان تتمناهما لنفسها كل فتاة ... وحين شاهدت نفسها عارية أمامه لا يستر جسمها الفاتن غلالة أسبلت على قدها المياس غداؤها الطويلة الغزيرة ...

وسألها الأمير : من هي ؟ وكيف جاءت إلى هذا المكان ؟ فأثبتت فيه نظرات من عينين زرقاوين فانتنن هادئتين ولم تجر جواباً لأنها كانت خرساء . فتناول الأمير يدها وقادها إلى قصره كما تكهنت سابقاً بذلك العرافة . وفي الطريق كانت عروس الماء تحس كل خطوة تحطوها كأنها تدوس على سكاكين ونصال حادة ولكنها كانت تتجمل هذه الأوجاع في استسلام وجلد . ولما بلغت مع الأمير القصر كانت تمشي إلى جانبه في رشاقة فقاعة الصابون ، فأعجب هو وكل من في القصر لهذه المشية الراقصة المتموجة

وألبت عروس الماء الصغيرة ثوباً قشيباً من الحرير فبدت في أبهاء القصر أجمل وأفتن عادة فيه لولا أنها كانت خرساء لا تستطيع نطقاً ولا غناء .

وذات ليلة ، تقدمت جوقة من مغنيات قصر

الأمير ، فتننن أمامه أعذب ما يكون الغناء . وتفوقت واحدة منهن على زميلاتها فيه ، فصفق لها الأمير وهتف باسمها وابتسم في وجهها . وحينئذ بدا حزن صامت مؤلم على عروس البحر ، حين ذكرت أنها لو كانت تمتلك حفجرتها الشجية الآن لأزرت بكل المغنيات وأخجلتهن بخنو صوتها . بعد ذلك أخذن المغنيات ، في رقصات رشيقات مثيرات ترافقها نغمات شجيات من الموسيقى . وعند هذا لم تملك عروس الماء نفسها ، فأنخرطت في سلكهن وحملت جسمها على أطراف أصابعها الدقيقة ، ثم انزلت على بلاط القاعة ترقص رقصات لم ترقص مثلها راقصة . وكانت كل حركة منها ولفته تبرز تقاسيم ساقها الجميلتين ، بينما عينها توجيان إلى القلوب من المعاني الصامتة ما لا تفصح عنه لغة الغناء . كل من حضر هذه الحفلة ملكته الدهشة وأسرته الإعجاب برقصاتها الدهشة التأودة ، خصوصاً الأمير . ولقد استمرت عروس البحر الصغيرة في دورات رقصاتها رغم أن كل خطوة أو لفتة كانت تسبب لها آلاماً لا تطاق ...

وأذن لها الأمير أن تظل دائماً بقربه وسمح لها أن ترقد بجانب باب غرفة نومه على وسادة الديباج والمخمل . ولكن ذكرى أخواتها وقصرها البحري العجيب ، ما كانت تبارح ذهنها . ففي ذات ليلة ، ظهر أخواتها عرائس البحر على وجه الدأماء ، وهن متماقدات الأيدي وسابحات يرددن نشيداً مؤلماً مشجياً . فنادهن عروس البحر الصغيرة بكلمات لا تبين ، وكانت إذذاك واقفة في شرفة قصر الأمير وعرفها أخواتها بعد جهد ، فرحن يتحدثها ويبتشها لوعة النوى وجوى الفرقة ...

وحملته على صدرى فوق أعراف الموج إلى دير الغابة ا
وذات يوم أذيع أن الأمير عزم أن يتزوج
أميرة فاتنة حسناء هي بنت ملك مجاور لأبيه ، وأن
الفتى سيبحر إلى عروسه في سرب رائع فاخر من
الزوارق ورهط ممتاز من الحاشية والأتباع
وحين استقل الأمير السفينة التي كانت تحمله
إلى بلاد عروسه وخطيبته ، أخذ يخاطب عروس
الماء الصغيرة التي أبي إلا أن تصحبه في سفرته ،
فكان يقول لها :

— كيف لا تفزعين يا حسناء الخرساء من
ركوب البحر ؟

فكانت عروس البحر تبسم في وجهه حزينة
أسوأة ، لأنها تعلم أن ليس أحد على وجه اليابسة
يزها أو يضاهاها في السباحة والعموم

وفي صبيحة صافية جميلة رست سفينة الأمير
في ميناء بلاد الملك الذي سيصاهره الأمير فكان
لخبر قدوم الأمير لخطبة الأميرة اختفالات شائقة
رائعة ، ومهرجانات حماسية قرعت فيها نواقيس
الكنايس وصدحت ألحان الموسيقى وسرت معالم
الزينة والابتهاج في كل محل . ولكن الأميرة
العروس لم تكن إذ ذلك في المدينة . إذ كان أبوها
الملك أرسلها منذ زمن إلى دير على شاطئ البحر
تهذيب نفسها وتنوير روحها بضيء الدين والمعرفة .
وكانت عروس البحر الصغيرة خلال ذلك تتشوق
إلى رؤية جمال هذه الأميرة الفاتنة ... وأخيراً
وصلت الأميرة إلى المدينة ، وحين أبصرتها عروس
الماء اعترفت لنفسها بأنها لم ترفى حياتها أجل منها
ولا أشد سحراً وجاذبية . وحين أبصرها الأمير
الجميل طوقها بذراعيه وهتف في ابتهاج :

ومن ذلك الحين كن يترددن إلى أمام شرفة قصر
الأمير في أكثر الليالي ، وذات مرة شاهدت عروس
الماء جدتها المعجوز التي لم تصعد مندسنيين إلى سطح
البحر . وفي مرة أخرى شاهدت أباهما ملك البحر
قد صعد إلى وجه الماء بتأجه النفيس ...

كان حب الأمير يزداد يوماً عن يوم ، ولكنه
كان حب إعجاب وإشفاق فقط . فلم يدركه في خلده
مرة أن يتخذ منها أميرة لقصره . مع أنه كان ينبغي
لها أن تكون امرأته الشرعية ، كي تمنح نعمة الروح
الخالدة . أما في اليوم الذي يقترن الأمير بغادة غيرها ،
فإنها لن تكون يومذاك ويا للأسف غير رغاء من
الزبد الفاشي على وجه البحر . وكانت عيناها تقولان
للأمير حين يضمها إلى صدره ويقبلها في جبينها :

— ولكن ألا تؤثرني يا سيدى على كل غادة
في قصرك ؟ فكان يجيبها :

— أوه نعم ، إلى لأفضلك على كل فتاة ، لأن
قلبك أظهر ولأنك أخلص لي حباً ، ثم إنك تشبهين
كأعباً حسناء شاهدتها فيما سلف من أيامى ، ولكنى
لن أكل عيني برؤيتها يوماً . لقد كنت ذات يوم
على سطح سفينة مشرفة على الفرق ، فقدفتنى
الأمواج إلى شاطئ البحر بقرب كنيسة كانت
تليداتها غيدا حسانا ، فأنقذتني من الفرق
أفتاهن سناً وأملحهن وجهاً . ومع أنى لم أرها
إلا مرتين فقط ، فإنه لم يتصب قلبى سواها من النيد
الأماليد . ولكنك أنت تشبهينها وتكاد صورتك
أن تلمس صورتها من صفحة قلبى . إنها تخص
الكنيسة ، وقد نذرت نفسها لها ، لهذا فإن حظاً
حسناً قارك إلى هنا في قصرى فلن نفترق أبداً .
فكانت عروس الماء حين تسمع هذا القول تفكر :

— آه ، إنه لا يدرك بأنى أنا التي نجيت حياته

— آه إنك أنت بنفسك التي أنقذت حياتي حين
كنت مضطرباً بين الأمواج كجثة لا حراك فيها
ثم قال لعروس الماء :

— إن سعادتي ببقيا التي طالما بحثت عنها
لا يمد لها سعادة . ألا فأفرح لي وانشرح لي يا فتاتي ،
لأنك تحبينني أكثر مما يحبني شخص في هذا العالم .
فأهوت عروس البحر على يديه قبلهما وقلبا يتصدع
ألماً ونفسها تسيل حسرات . لأنها استيقنت أن
مساء يوم الزواج سوف لا يبقى من جسمها الفاتن
إلا رغاء من الزبد يطفو على وجه البحر

وفي مساء يوم الزواج ركب العروسان الفتيان
زورقاً رائع الزينة للزفة ، فقصفت عند ركوبهما
أصوات المدافع ودوت أبواق الجند ، ثم خرج زورق
العروسين يتخطر على أديم الماء ، وقد نصب في وسطه
سرادق ملوكي أرجواني مذهب الحاشية فرشت
أرضه بالوسائد واليضائد الوثيرة التي كان ينام عليها
الأمير والأميرة تحت جناح ليل معتدل الهواء
وفوق سطح بحر هادي الريح . وحين هبط الليل
أشعلت على ظهر السفينة الملوكية مئآت من المشاعل
الملونة ، بينما أخذ ربانوها يرقصون ويقصفون على نجح
أميرهم الهاني رقص الحبور والطرب . فكانت عروس
البحر وهي على ظهر السفينة تفكر في أول مرة من
حياتها صعدت فيها إلى سطح البحر وكيف أن هذا
المنظر بذاته اجتنب نظرها وقتئذ لها ، وحينئذ اندمجت
مع الراقصين والراقصات على ظهر السفينة ، وطفقت
ترقص وتناود كما يترقص « السنونو » في أجوائه
فصفق لها جميع الموجودين . أبدأ لم تتقن الرقص
وتتقن في أساليبه تقننها هذه المرة . لقد كان
يخيل إليها أن قدمها الطريتين الصغيرتين تتمرقان
وتتقطمان بمرهفات النصال ، ولكن آلام نفسها
كانت من المرارة والجسامة بحيث لم تشعر معها

بالآلام جسدية . لقد كانت تتيقن جيداً أنها تشاهد
الآن لآخر مرة ذاك الذي هجرت من أجله أهلها
وفارقت موطنها وزلت مختارة في سبيل اللحاق
به عن جمال صوتها النادر . هي آخر ليلة تنسم فيها
نفس الهواء الذي يتنسمه الأمير ، وتتملي بمشاهدة
السماء المزداة بالزواهر والشهب . إن ليلاً سرمدياً
خالداً من غير حلم ، طويلاً من غير يقظة أو حسرة
ينتظرها هناك على وجه البحر حين تنقلب رغاء
طائشاً لأنها لم تستطع أن تقترن بالأمير الحبيب
فتنال معه نعمة الروح السرمدية الآبدة

كل شيء على ظهر سفينة الأمير كان يمثل
السرور والسعادة ... ومضى نصف الليل وعروس
الماء الصغيرة ترقص وتغني ولكن ماتم الحزن كان
يعول وينوح في قلبها الحزين . لقد كان الأمير
في تلك الساعة غارقاً في لذة عناق زوجته ، والأميرة
تداعب خصلات شعره الرخو الحالك ، ثم ... ثم
تشابكت منهما الأيدي وتلاقت الشفاه ففرقا تحت
السرادق في خلوة وجلوة ما أحلاها لأنها جلوة
المرس ...

وحينئذ غمر سكون الليل وسجوا البحر جو
السفينة فما كان متيقظاً عليها إلا ربان الإدارة
والدفة وإلا عروس البحر المرزأة وقد أسندت ذراعها
على « درابزين » السفينة وأخذت ترقب تبلج الفجر
وصبغه وجه الأفق بلونه الوردى اللالزوردي ، وقد
علمت أن أول شعاع من أشعة شمس هذا النهار
سيكون في إشراقه هلاكها وتلاشيها من الوجود
وخطاة أبصرت على أعراف الموج أخواتها الخمس
وقد امتعت وجوههن وبجردن من شعورهن الطويلة
فقلن لها :

— لقد أعطينا شعورنا الطويلة للمرافة الساحرة
كي ترق لك فتخف لمساعدتك وتؤجل موتك هذه

ثم قذفت بنفسها من أعلى السفينة إلى أعماق البحر حيث شعرت بأن جسمها يذوب وينحل إلى قطع من زبد البحر

في عين اللحظة ، ارتفعت الشمس عن الأفق فداعت أشعتها الدافئة وجه البحر المفقور... ولكن عروس الماء أحست بأنها لم تمت حتى الآن ... لقد أبصرت توهج الشمس واثلاقتها ، وتراعى لعينيها السماء كأنها كائنات لا تحصى ذات جمال لا يوصف: جمال نوراني شفاف . حتى لكأن عروس البحر تميز خلال أجسام هذه المخلوقات بياض شراع السفينة واحمرار شفق الأفق . لقد كان لأصوات هذه الكائنات الجميلة السحرية رنات أين منها رنات الثالث والثاني ، بل كانت عدوبة حناجرها من الرقة والحنو واللطافة بحيث لا يتسنى لأذن بشرية سماعها ولا لعين إنسانية رؤية أشكالها النورانية . لقد كانت هذه المخلوقات العجيبة ترف وترف في الهواء دون أجنحة للطيران . بل كانت تخلق فيه بخفة أجسامها ولدونتها . ولكن المدهش أن عروس البحر شاهدت نفسها هي أيضاً ذات جسم مثل هذه الأجسام الشفافة النورانية وترف بينهم في جو السماء دون جناح . سألت مستفهمة :

— ولكن إلى أين أسير ؟ فإذا صوتها الأخرس رن ويشجى كهذه الأصوات السماوية التي أبداً لن تستطيع نقلها إلى آذاننا موسيقى أرضية . فأجابت عروس الماء أصوات أخرى حولها :

— إنك عندنا نحن عرائس الهواء والأجواء .. إن عروس البحر لا تملك روحاً خالدة ولا تستطيع الحصول على واحدة إلا أن تكتسب محبة رجل من الأرض اليابسة . وإذن فحياتها السرمدية الخالدة تتعلق بإرادة الآخرين

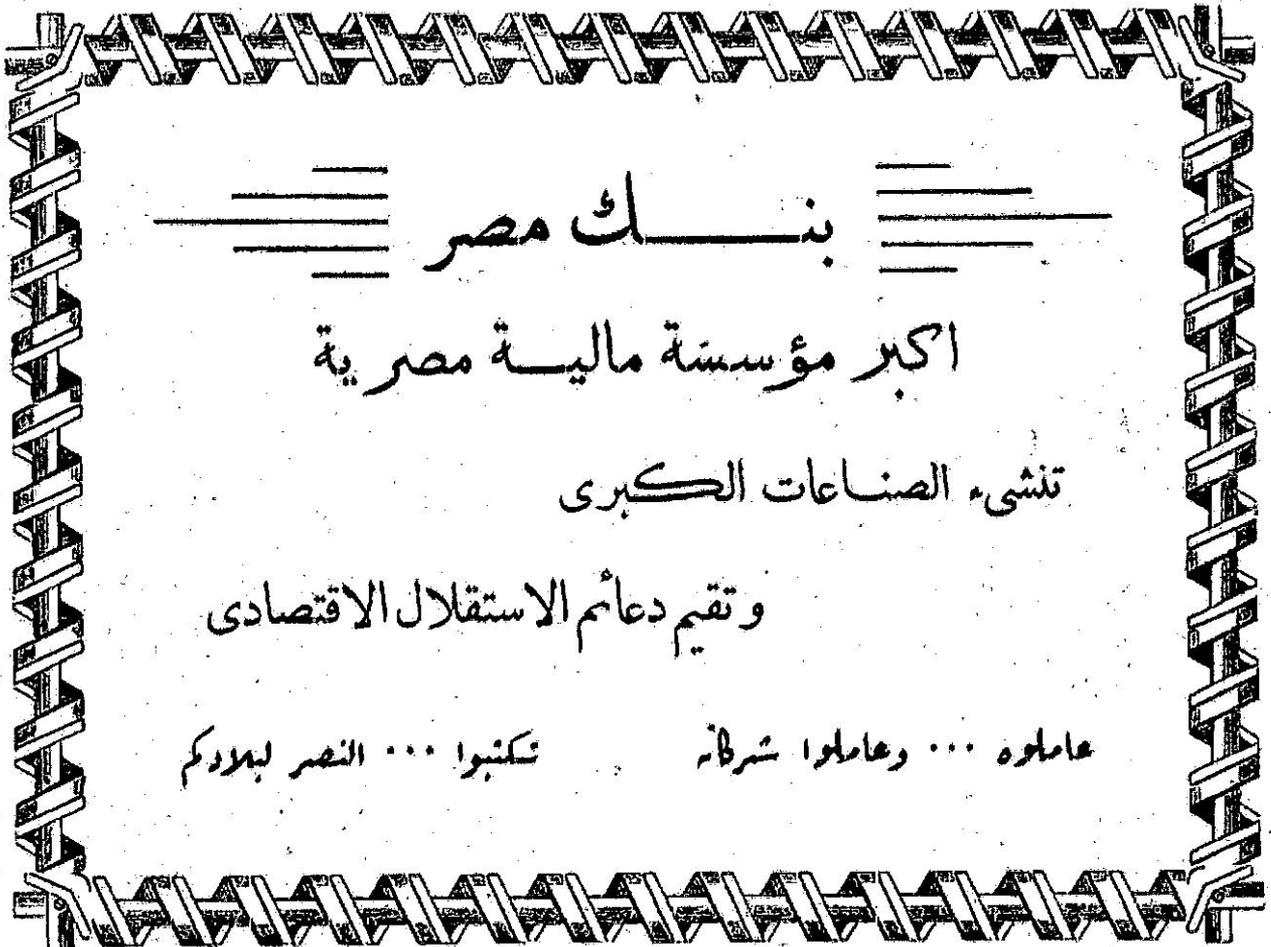
الليلة ... ورضيت الكاهنة بمد لأمي فأعطتنا مديّة هي هذه، وأنت ترين كم هي حادة رهيفة... يجب عليك يا أختنا العزيزة أن تفرزيها قبل انفلاق الصبح في قلب الأمير، وحين يسيل دمه تحت قدميك، سوف تلتصق رجلاك وتكونان لك ذنباً سمكياً ، وحينئذ تعودين عروساً للبحر كما كنت وتنعمين في الموج وتميشين ثلاثمائة سنة قبل أن تفنى وتصيرى زبداً عاصماً على البحر... إن الأمر خطير يا أختاه ، فيجب أن يقضى الأمير قبيل شروق الشمس ، ولم يبق لذلك غير لحظات . إن جدتنا العزيزة ألح عليها الحزن حتى أسقط شعورها البيضاء ، كما سقطت شعورنا الجميلة كما ترين تحت مقص الكاهنة الشرهة القاسية لأجلك ... اقتلى الأمير وأسرعى بحياتنا عليك ... انظري ، لقد اصطبغ وجه الأفق بوهج الشفق الأحمر ، وما هي إلا هنيهات حتى تبرز الشمس وأنت تعلمين أن هلاكك في إشراقها . قلن ذلك ، ثم تنهدت العرائس أميرات البحر تنهدات حارة ، وغطسن في غمر الأثباح ...

وحصرت عروس البحر الصغيرة ستار الخيمة الحمراء ، فإذا الأمير والأميرة نائمان ، وقد أراحت الأميرة رأسها على صدر الأمير . واقتربت عروس البحر منهما ، ثم انحنت على الشاب واقتطفت من جبينه قبلة هبانة والهبة ، ثم علق نظرها بالسماء حيث موكب عروس النهار بدأ في الارتفاع . ونظرت إلى المدينة، ثم عادت فنظرت إلى الأمير . فإذا به يردد في أحلامه اسم زوجه الأميرة ، الشخص الوحيد الذي تهجس به أحلامه وتتناهى أمانيه . لقد كانت السكين ترجف وتلتصق بين يدي عروس الماء ، ولكنها سرعان ما قذفتها إلى عرض البحر ... ونظرت مرة أخيرة بعينيها الغامتتين إلى الأمير الناعم الحالم

وهنا رفعت عروس البحر في دهشة وحيرة عينها
إلى السماء شاكرة، فتحدت على خديها دموع الحمد
والاعتراف . وكانت أولى دموع عرفتها في حياتها .
كانت الحياة والحركة على شاطئ البحر في ذلك
الحين تموج وتنبعث فشاهدت عروس البحر حبيبها
الأمير وعروسه يبحثان عنها في كل مكان ... ثم
ينظران في حسرة إلى البحر كأنما عرفا أمر إلقاء
نفسها في أحضانه ...

ودون أن تراها عين بشرية طبعت على جبين
الأمير قبلة مخلصه حارة . ثم تبلج وجهها وأضاء ،
وانقذت مع زميلاتها عرائس الأجواء في غمرة
أمواج الضياء ، ترف وإياهن في مملكة الهواء ...
كالمحبري

أما نحن عرائس الأجواء فكذلك لانملك روحاً
بأية ولكننا نستطيع أن نحوزها بأعمالنا الصالحات
النافعات . إننا نظير دوماً إلى البلاد الاستوائية
ذات الإقليم الحار المشتعل المزهي للأنفاس فننقل
إلى سكاكه البرودة والطراة ، وننشر في رجب
أجوائهم عطوراً منمشة مؤرجة ، كي تخفف
وطأة الإقليم عن سكاكه ، وننفس هناك هواءهم
المحتبس المنوق الحار ... وبعد قضاء ثلاثمائة سنة
في مثل هذه الأعمال التي نأخذ أنفسنا نحن عرائس
الجو بأجوازها لسكان الأقاليم الحارة نحظى بروح خالدة
ونشترك في سعادة الخلود مع بني البشر ، وأنت الأخرى
يا عروس البحر الصغيرة المخلصة ، لقد جهدت في فعل
الخير وتألت في سبيله الماء تستحقين معه بعد مضي
ثلاثمائة عام أن تعيشي وتنعمي بروح خالدة أبدة ...



بنك مصر

أكبر مؤسسة مالية مصرية

تشجيع الصناعات الكبرى

وتقييم دعائم الاستقلال الاقتصادي

عامه ... وعاملوا شرطه

تكتبوا ... النصر ليهودكم